

الحياة الثقافية في العهد الأموي (41-132 هـ/661-749م)

Cultural Life in the Umayyad era (41-132 AH/661-749 AD)

أ.د/ فاطمة بوعمامة
Fatma BOUAMAMA
المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
bouamamafatma@outlook.fr

طالبة دكتوراه صبرين فنير¹
Sabrine FENIER
f.sabrine1989@gmail.com

تاريخ القبول: 2026/01/07

تاريخ الإرسال: 2024/11/18

المخلص:

الدولة أو الخلافة الأموية (41-132 هـ/661-749م) واحدة من أهم الكيانات السياسية التي نشأت في المشرق الإسلامي على يد معاوية بن أبي سفيان (41-60 هـ/661-680م)، وهي ثاني خلافة في التاريخ كانت عاصمتها مدينة دمشق وقد بلغت أقصى اتساعها في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125 هـ/724-743م)، بالرغم من ذلك فهي لم تهمل الجانب الثقافي والعلمي، والذي كان اللبنة الأولى في تشكل العلوم آنذاك خاصة علوم القرآن الكريم (علوم: القراءات، التفسير، الفقه، الحديث، علم الكلام) وقد لاحظنا في هذه الفترة ظهور قراءات متعددة بالإضافة إلى بروز عدة مفسرين اجتهدوا في تفسير الآيات القرآنية، والفقه الذي اهتم بتدوينه الخليفة عمر بن العزيز (99-101 هـ/717-719م)، أما العلوم الأدبية واللغوية فقد ظهر فيها فن الشعر والخطابة والنحو والكتابة، حيث تميزت بظهور أغراض جديدة نتيجة لما استلزمه العصر الأموي.

لم يغفل الأمويون الاهتمام بالعلوم العقلية كالطب والترجمة التي ساعدت على ترجمة كتب الطب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية والكيمياء، وعلم التاريخ التي ظهرت فيه كتب السيرة والمغازي والأنساب والفتوح. خلّصت الدراسة إلى أن الأمويين ساهموا في تطوير الحياة الفكرية وفن العمارة، والتي عملت على التمهيد للنهضة العلمية التي سادت في العصر العباسي، ونخص بالذكر حركة التعريب التي قام بها الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86 هـ/685-705م).

الكلمات المفتاحية: الحياة الثقافية؛ الدولة الأموية؛ العلوم الدينية؛ العلوم الأدبية واللغوية؛ المساجد.

Abstract:

The Umayyad Caliphate (41-132 AH/661-749 AD) was one of the most important political entities to emerge in the Islamic East under Muawiyah ibn Abi Sufyan (41-60 AH/661-680 AD). It was the second caliphate in history, with Damascus as its capital, and reached its maximum expansion during the reign of Caliph Hisham ibn Abd al-Malik (105-125 AH/724-743 AD). Despite this, it did not neglect the cultural and scientific aspects, which were the first building blocks in the formation of the sciences at that time, especially the sciences of the Holy Quran (sciences: recitations, interpretation, jurisprudence, hadith, and theology). During this period, we observed the emergence of multiple recitations, in addition to the emergence

¹ - المرسل المؤلف.

of several interpreters who strove to interpret the verses of the Qur'an, and jurisprudence, which Caliph Umar ibn al-Aziz (99-101 AH/717-719 AD) was keen to codify. As for literary and linguistic sciences, the arts of poetry, rhetoric, grammar, and writing emerged, characterized by the appearance of new themes as a result of the demands of the Umayyad era.

The Umayyads did not neglect the rational sciences such as medicine and translation, which helped to translate medical books from Greek into Arabic, as well as chemistry and history, which saw the emergence of books on biography, military campaigns, genealogy, and conquests .

The study concluded that the Umayyads contributed to the development of intellectual life and architecture, which paved the way for the scientific renaissance that prevailed in the Abbasid era, with particular mention of the Arabization movement carried out by Caliph Abd al-Malik ibn Marwan (65-86 AH/685-705 AH).

Key words: Cultural life; Umayyad state; religious sciences; literary and linguistic sciences; Mosques.

مقدمة:

تعني الثقافة في اللغة والتي أصلها من الفعل الثلاثي تَقَفَّ عدة معان: منها الفطنة، الذكاء، سرعة التعلم والتعليم وضبط المعرفة المكتسبة في مهارة ما¹، أما في الاصطلاح: فهي الرقي في الأفكار النظرية وقيل أنها جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحنق بها²، والثقافة الإسلامية بشكل عام هي الصورة الحية للأمة الإسلامية فهي تحدد ملامح شخصيتها وقوام وجودها وتضبط سيرها في الحياة وتحدد اتجاهها فيها³.

وبعد ضبط مفهوم لمصطلح الثقافة أو الثقافة الإسلامية بشكل عام ندخل للعهد الأموي الذي كانت فيه الدولة الأموية من مفاخر التاريخ الإسلامي في القرون الوسطى لما بلغته من قوة واتساع لم تبلغها أية دولة غيرها، إذ وصلت بفتوحاتها الإسلامية إلى المحيط الأطلسي وعاشت في ظلها أجناس وحضارات متباينة في تناسق وانسجام أخذت منها مظاهر الحضارة (الفرس، الهنود، اليونان)، في سعيهم وفي وقت مبكر إلى عملية بناء حضارية في كل الميادين الفكرية والمعمارية أضحت لنا بارزة في التمهيد للازدهار.

إشكالية الدراسة: ماهي مميزات الحياة الثقافية زمن الخلافة الأموية؟ أو إلى أي مدى اهتم خلفاء بني أمية بالجانب الثقافي رغم انشغالهم بالفتوحات الإسلامية؟

تكمين أهمية الدراسة في: الغوص أكثر في معرفة المجال الثقافي للحياة الفكرية والطابع العمراني اللذان نالا حظا كبيرا لدى الأمويين.

وتمثلت أهداف البحث في: التفصيل أكثر في إبراز الجانب الثقافي والعلمي للدولة الأموية، نظرا لطغيان الجانب السياسي والعسكري في أغلب الكتب التي تناولت الموضوع.

وقد اعتمدنا على **المنهج التاريخي:** نظرا لطبيعة الدراسة وارتباطها بمرحلة تاريخية ماضية الذي يتناسب مع موضوع الدراسة بالإضافة إلى المنهج الوصفي الذي اعتمدناه بشكل كبير في المطلب الثاني بوصف أهم المعالم الحضارية التي تميزت بها الدولة الأموية.

مدخل: البوادر الأولى للحياة الثقافية في الدولة الأموية

قبل البدء في التطرق للحياة الفكرية والطابع العمراني للدولة الأموية كان لا بد من الإشارة إلى حركة النقل والترجمة، وكذا حركة التعريب التي ظهرت وازدهرت في العهد الأموي حيث أصبحت اللغة العربية لغة رسمية للدولة تمتد من المشرق إلى المغرب.

إنَّ حركة النقل والترجمة قد بدأت مع الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي كان محبا للاطلاع على سياسات الملوك وسيرهم أو كان لديه من ينسخون له الكتب التي يبدو أنها كانت مترجمة عن اللغات اليونانية واللاتينية وحتى الصينية على إثر تسلمه الهدية من ملك الصين كانت كتابا ترجم في عهده⁴. وهناك من يقول أن خالد بن يزيد (13-85هـ/635-704م) يعد أول عربي مسلم فكر بالنقل والترجمة واعتبره الباحثون المؤسس الأول الذي وضع حجر الأساس لظاهرة النقل والترجمة في العالم الإسلامي، وبهذا تغفل الجهود التي سبقتها في عهد جده معاوية بن أبي سفيان، فقد انتظمت هذه الظاهرة في عهده وزاد الناقلون على ما كانوا عليه، فاستطاعوا أن ينقلوا الكثير من الكتب في: الطب، الفلسفة، الفلك .. إلخ، وجعلها متاحة في أماكن خاصة (خزائن الكتب والمكتبات) يرتادها المهتمون والدارسون بالإضافة إلى الترجمة من اللغات السريانية والقبطية والفارسية واليونانية، يعني أن مكتبة معاوية بن أبي سفيان بدمشق يمكن أن تعد المركز الأول من مراكز التعريب والنقل أو الترجمة إلى اللغة العربية وخالد بن يزيد قد طور هذه المكتبة⁵.

المطلب الأول: الحياة الفكرية في الدولة الأموية

الفرع الأول: العلوم الدينية

1- القراءات: هو علم يبحث فيه عن سور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة وفائده صون كلامه عز وجل من التحريف والتغيير، ويعد علم القراءات أساس علم التفسير، ومن أئمة القراء المشهورين بالثقة من مختلف الأمصار من أهل العلم ومشهود لهم بالأمانة واعتبرت قراءتهم سليمة وهم⁶: في مكة عبد الله بن كثير (ت120هـ/738م)، وفي الكوفة عاصم بن أبي النجود (ت128هـ/146م)، وفي دمشق عبد الله بن عامر اليحصبي (ت118هـ/736م).⁷ ولابن عامر هذا كتابان في القراءات ذكرهما ابن النديم: الأول هو "كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق"، والثاني هو "في مقطوع القرآن وموصله"، والمعروف أن هذين الكتابين لم يصلنا إلينا، ويعتقد "خالد داود الزرو" أن هناك كتباً كثيرة في القرآن ألقت في هذه الفترة في الشام ولم تصلنا، فإذا عرفنا أن الوليد بن مسلم (ت195هـ/810م) كان له سبعون مؤلفاً، جزمنا أن واحداً منها على الأقل لا بد أن يكون في القراءات⁸.

وظهرت العديد من المدارس المتخصصة في علم القراءات، منها مدرسة الكوفة التي كان لها حظ وافر في علم القراءات، ولقد تطورت هذه المدرسة بعد بروز قرائها الكبار وأئمة طرقها المختلفة فتكوّن حول هذه المباحث تراث ضخم في علم القراءات، ونرى أن العالم الإسلامي قد اقتصر على أربع روايات في القراءات هي:

- رواية ورش عن نافع.
- رواية حفص عن عاصم.
- رواية قالون عن نافع.
- رواية الدوري عن أبي عمرو⁹.

2- التفسير: شهد العصر الأموي نهضة كبيرة في التفسير، فظهر منهم عبد الله ابن عباس (3ق.هـ-68هـ/618-687م) وتلاميذه: سعيد بن جبير (ت95هـ/714م)، مجاهد بن جبر (ت104هـ/722م)، الضحاك بن مزاحم (ت102هـ/720م)، محمد بن كعب القرطبي (ت108هـ/726م)، قتادة بن دعامة السدوسي (ت118هـ/736م)، طاووس بن كيسان اليماني (ت106هـ/624م).
فقد كان عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - عالما خبيراً بكتاب الله، فقد أدرك كثيراً من الصحابة وأخذ عنهم وعن غيرهم من المفسرين¹⁰.

ويقال أنّ أول من دوّن في التفسير مجاهد بن جبر (21-104 هـ/642-722م)، وتفسيره غير موجود، والصحيح أنّه ممن دون التفسير لكنه لم يكن أولهم حيث ذكر آخرون قد سبقوه إلى تدوين التفسير فقد كان راوياً عن ابن عباس¹¹.
واتجه المفسرون في تفسير القرآن الكريم إلى اتجاهين هما:

- **التفسير بالمأثور:** وهو ما أثر عن الرسول ﷺ وكبار الصحابة رضي الله عنهم.
- **التفسير بالرأي (الاجتهاد):** وهو ما كان معتمداً على العقل أكثر من اعتماده على النقل، كما كان المفسرون يتخذون الشعر أحياناً مرجعاً لهم في استعمالاته اللغوية¹².

ولما كانت بعض الأحاديث قد انتحلت لتلبية حاجة البدع والنزعات فقد حرص عمر بن عبد العزيز تدوين الأحاديث الصحاح، ومن أشهر المحدثين في العصر الأموي: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت161هـ/777م) بالبصرة، وله من الكتب (الجامع الكبير) الذي يجري مجرى الحديث، وأبو عبد الرحمان محمد بن عبد الرحمان بن المغيرة (ت136هـ/753م)، وله من الكتب كتاب (السنن)، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريح (ت150هـ/767م)، وصنف كتاب (السنن)، ومغيرة بن مقسم الضبي (ت حوالي 133 و134هـ/750 و751م)، وصنف كتاب (الفرائض)، وغيرهم كثير¹³.

3- الحديث: إنّ الفتوحات الإسلامية وانتشار العرب في الأمصار وتفرق رواة الحديث وحفاظه وموت عدد كبير منهم أشعر العلماء بالحاجة إلى تدوين الحديث ففرغ من العلماء للعمل في جمع الأحاديث من الحفاظ أينما كانوا، فبدأ تدوين الحديث في القرن (2هـ / 8م).

فقد كانوا يعتمدون على الحفظ، فلما خاف عمر بن العزيز طلب من القاضي أبي بكر بن حزم (ت120هـ/737م) أن يبدأ في تدوين السنن المتعلقة بالرسول ﷺ وأخباره¹⁴، وقد أقام برنامجاً للإصلاح يخص القرآن الكريم والسنة الشريفة حيث كان يكتب إلى المدينة، ويطلب الأحاديث المعروفة فيها، وكانت تكتب له وترسل، وكان يطلب أن تكتب له أيضاً أعمال عمر بن الخطاب وسيرته فيقتضي بها، وكان إذا عسر عليه شيء سأل العلماء والفقهاء عنه، وكان هو فقيهاً أيضاً بل كاد أن يكون سيد فقهاء عصره¹⁵.

4- الفقه: في العصر الأموي لم يحظ التشريع باهتمام كبير من جانب الخلفاء الأمويين - باستثناء القليل منهم مثل: الخليفة عمر بن عبد العزيز - ولم يتصلوا بالفقهاء ورجال التشريع إلا في حالات قليلة نادرة، واكتفوا بتعيين القضاة وأطلقوا أيديهم في الحكم بين الناس، وليس من الحقيقة في شيء، ما أشاعه بعض المستشرقين من أنّ التشريع الإسلامي تأثر في العصر الأموي بالقانون الروماني، ذلك أنّ الشريعة الإسلامية لها روحها ومصادرها وخصائصها المميزة، وإذا وجد تشابه جاء نتيجة لحرص الشرائع المتباينة -إلهية كانت أو وضعية راقية- على تحقيق العدالة والخير للمجتمع، فإنّ ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أنّ المسلمين تأثروا بمدارس القانون الروماني التي وجدت في بعض مدن الشام عند الفتح الإسلامي¹⁶.

هذا لا ينفي وجود محاولات للاجتهد الفقهي من طرف بعض العلماء والأئمة في العصر الأموي؛ وذلك أنّ في هذا العصر حصلت عدة عوامل جديدة تدعو للاجتهد أهمها:

- انتشار الإسلام في أرجاء المعمورة وتوسيع الفتوحات الإسلامية ودخول الناس في دين الله أفواجا.
مواجهة المسلمين في البلاد الجديدة حوادث متعددة وقضايا متطورة وأعراق متنوعة ومشاكل معقدة وأنظمة كثيرة، فرضت على العلماء والمجتهدين أن يبينوا حكم الله تعالى في كل ما يتفق مع النصوص الشرعية¹⁷.

كما أنّ الفقه في العصر الأموي استقل عن غيره وأصبح كمثّل السطور التأسيسية للتشريع الإسلامي وتمهيدا وتوطئة لنشوء المذاهب الفقهية فيما بعد¹⁸.

الفرع الثاني: العلوم الأدبية واللغوية

1- الشعر: عمل الأمويون على ازدهاره وبالعوا في رعايته؛ ذلك أنّهم عرب يهزم الشعر وتسحرهم بلاغته، ويؤلّونه عناية كبيرة ولأنّه سجل تاريخ العرب وأيامهم ومفاخرهم ومآثرهم من جانب آخر، ولقد ساعد في ازدهاره ظهور الفرق والمذاهب السياسية، والواقع أن مادة الشعر الأموي تكونت من تطور البيئة العربية بسبب الفتوحات والاختلاط، فعكس كافة المشاكل السياسية والاجتماعية التي تعرضت لها الدولة الأموية¹⁹.

وقد اشتهر خلفاء بني أمية أنفسهم بالشعر من أمثال: يزيد بن معاوية (ت60-64هـ/680-683م) حتى قيل: "بُدئ الشعرُ بملك وخُتم بملك" يعنون بدئ بامرئ القيس وخُتم بيزيد.

وقد ساعد على ازدهار الشعر في العصر الأموي ظهور الفرق والمذاهب السياسية التي جعلت من الشعر وسيلة للمساجلة والمنازعة والمناظرة. هذا فضلا عما كان بين الشعراء أنفسهم من منافسة كتلك التي عرفت بين جرير والفرزدق، وأدت إلى ظهور نوع من الهجاء المقذع، وعرفت المساجلات بينهما باسم (النقائض)²⁰.

كانت أغراض الشعر الأموي كمنثلياتها في العصر الجاهلي؛ من مدح وهجاء وفخر ورثاء وغير ذلك، ولقد نشأت أغراض لم تكن موجودة من قبل كالشعر السياسي عند شعراء الأحزاب السياسية²¹. ومن بين الشعراء الأمويين: أبو النجم العجلي (ت130هـ/747م)، أبو الهندي (ت180هـ/796م)، أبو دهبيل الجمحي توفي بعد عام 110هـ/728م، أبو صخر الهذلي (ت80هـ/700م)²².

2- الخطابة: ازدهرت أيام الأمويين، وارتفعت إلى درجة لم تعهدها من قبل، فقد كان يلجأ إليها الخطيب لتأدية رسالته الدينية أيام الجمعة، ويستعين بها في بث روح الحماسة في الرعية، حيث غدت في ذلك العصر الذي لم تتوفر فيه سبل الدعاية والوسائل الأخرى لبث الأفكار وإثارة العواطف.

ومن أسباب ازدهارها الثورات السياسية وكثرة الحروب والفتوحات، واشتداد الخلاف بين الأحزاب التي نشأت في هذا العصر (الشيعية، الأمويين، الخوارج)، كما أمدّهم قربهم من العصر الجاهلي سلامة الملكات وبلاغة القول²³.

كما تميزت بالنزعة السياسية التي غلب عليها طابع التحرر من الرسوم الدينية وهدفت إلى تغيير الأوضاع وقلب الأنظمة ومواجهة الحاكمين، ومن أشهر الخطباء:

- معاوية بن أبي سفيان، خالد بن عبد الله القسري (ت130هـ/743م)، المختار الثقفي (ت67هـ/686م)، قتيبة بن مسلم (ت96هـ/715م)، سحبان وائل (ت54هـ/674م)²⁴.

وكان ازدهار الخطابة نتيجة مؤثرات كثيرة منها:²⁵

- الدعوة الإسلامية العظمى والخصومة بين أنصارها ومعارضيهما استدعت رقي الخطابة.
- رفع الإسلام من شأن العقل، وخفض من غلواء العاطفة.
- الرقي السياسي والاجتماعي، إذ أصبحت العرب أمة واحدة، لها رئيس أعلى، ونظمت شؤونها الاجتماعية تنظيمًا استدعى الخطابة، سواء كان من الخليفة أم قواده أم عماله، أم من أفراد الأمة وخطبائها، أم في مجالس القضاء والشورى والفصل في الأمور.
- سلامة الملكات وقوة الطباع وعذوبة الألسنة، والقدرة على الارتجال، وذيوع آثار بلاغة القرآن والحديث في النفوس والعقول والأذواق.
- كثرة الخلافات حول الخلافة بعد موت الرسول ﷺ وبعد مقتل عمر رضي الله عنه، وما يستلزمه ذلك من كثرة فن الخطابة والحجاج بين الآراء والأفكار والأحزاب السياسية.
- كثرة الحاجة إليها في شؤون الدين والاجتماع والسياسة إلى غير ذلك من أسباب رقي الخطابة ونهضتها وقوتها في العصر.

3- النحو: بعد اختلاط المسلمين في بلاد الشام بالروم والسريان، وفي مصر بالقبط، وفي العراق وفارس بالعجم، وفي المغرب بالبربر، وأدى دخول كثير من هذه الشعوب للإسلام إلى وضع قواعد اللغة العربية لتحميمها من اللحن والخطأ، فظهرت مدرسة النحويين في البصرة، ويرأسها أبو الأسود الدؤلي (ت96هـ/688م) والذي اطلع على نحو السريان، ووضع بدايات علم النحو في العهد الأموي بطلب من معاوية بن أبي سفيان²⁶.

وعن أبي الأسود الدؤلي أخذ جماعة من دارسي النحو، كذلك استخدمت الشريعة الإسلامية والنظم السياسية والإدارية في الدولة العربية ألفاظاً ومصطلحات لم يكن للعرب عهد بها من قبل، وازدادت هذه المصطلحات بما نقله المسلمون عن اليونانية والفارسية في مختلف ميادين العلوم كالطب والرياضة والفلسفة والكيمياء، وأدى ذلك إلى البحث في مفردات اللغة من حيث معانيها وأصولها واشتقاقاتها، فظهرت المعاجم العربية، وأول من وفق في جمع أول معجم في اللغة العربية الخليل بن أحمد الأزدي (ت170هـ/786م) الذي نشأ بالبصرة غير بعيد عن بغداد، وهو أول من ضبط اللغة العربية، وأخرج علم العروض إلى الوجود، وذكر ابن النديم من كتبه: "العين"، وهو معجم مرتب على مخارج الحروف، وكتاب في "معنى الحروف"، كما صنف كتباً أخرى منها كتاب "النغم" وكتاب "العروض" وكتاب "الشواهد" وكتاب "النقط والشكل"، وكتاب "الإيقاع"²⁷. وقد سمي الخليل بن أحمد كتابه: "كتاب العين" باعتباره بدأ بحرف العين، ومن الطبيعي أن يتبع جهد الخليل بعد ذلك جهود العلماء الآخرين، وبخاصة أن عمل الخليل بن أحمد لم يكن عملاً متكاملًا ولكنه كان محاولة إبداعية خلاقة ومبتكرة²⁸.

وأصله من الأزدي من فراheid، وكان غاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس، وهو أول من استخراج العروض وحسن به أشعار العرب، وكان من الزهاد في الدنيا المنقطعين إلى العلم وكان شاعراً مقلداً²⁹.

4- الكتابة: تطورت كما كانت عليه في صدر الإسلام، وقد نضجت واكتمل نموها في نهاية هذا العصر لاتساع شؤون الدولة، وتعدد الدواوين لحاجة الخلفاء إلى مكاتبه الولاء وقادة الجيوش، كما تعددت الدواوين عن عهد الخلفاء الراشدين، فظهر ديوان الرسائل لكتابة الرسائل التي تصدر عن دار الخلافة الذي غلب عليه بساطة المظهر وعدم التكلف في الخطاب³⁰، فأصبحت الكتابة صناعة ذات قواعد وأصول

فأصبح للرسالة مطالع وتحميدات تختلف باختلاف مقام الذين تصدر عنهم، وتوجه إليهم ومن أشهر الكتاب عبد الحميد بن يحيى إِيَاد (ت132هـ/750م)³¹.

وتعود عوامل نهضة الكتابة في آخر العصر الأموي إلى:

- اتساع أعمال الدولة وديوان الرسائل، مما استدعى العناية بالكتابة والكتاب.
- عناية الكتاب بها وجعلها صناعة فنية عديدة، مع تعدد ثقافتهم العربية والأجنبية، التي كان لها أثرها في الكتابة، حتى ليقال: إن عبد الحميد أول من نقل تقاليد الفرس إلى الكتابة العربية.
- ضعف الملكات من أثر الاختلاط وتشعب الأعمال، فقل الحرص على الخطابة، وأخذت الكتابة في الظهور والذبول.

- كان للموالي - من أبناء الفرس والروم واليونان ورثة الثقافة والمدنية- أثر كبير في نهضة الكتابة، وتحولها إلى صناعة فنية، لها منهجها وأسلوبها وطرق أدائها، ونظامها في البدء والختام: وكان لأذواقهم أثر في اتسامها بالسهولة والوضوح، وفي البعد عن الغريب والوحشي والتعقيد والتنافر وتفكك المعاني والأفكار، فاشتدت الصلة بين كل جملة وأختها، وقل الاقتضاب والاعتراض بين أجزاء الكلام³².

الفرع الثالث: العلوم العقلية

1- الطب: بدأ يتخذ خطا جديدا، فلقد اهتم معاوية بن أبي سفيان كثيرا بالطب حيث استعمل طبيا خاصا به يدعى أبو الحكم بن أثال والذي ترجم الكثير من كتب الطب، وكان خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة³³، وأيضا تياذوق هو طبيب الحجاج³⁴، وماسرجوية طبيب مروان بن الحكم (64-65هـ/684-685م)، كان يهودي المذهب سريانيا. وقد ترجم بعض الكتب الطبية من السريانية إلى العربية مثل: كتاب "أهرن بن أعين القس"، وأبو الحكم طبيب معاوية، وابن أبجر السكندري طبيب عمر بن عبد العزيز وكان عالما نحريا³⁵.

وقد ترجمت الكتب من السريانية إلى العربية، ومن مظاهر اهتمام الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م) بالطب والأطباء وأمور المحافظة على الصحة العامة للأمة هو بناء المستشفيات في دمشق 88هـ/706 م، وأقيمت في مختلف الدول العربية كمصر بالفسطاط وغيرها³⁶. ومن مميزات الطب في العصر الأموي أنّ الأطباء لم يكونوا متساويين على صعيد المعرفة العلمية أو على صعيد المواقع التي احتلوها في ميادين العمل، وأيضا المكتشفات العلمية خلال هذه الفترة كلها لم تكن ذات قيمة كبرى واقتصرت الأمر على قراءة كتب غيرهم، ويطبقون مضمونها دون أن يركزوا على تطويرها³⁷.

2- الكيمياء: اهتم بنو أمية بعلم الكيمياء، وأول من عكف عليه هو الأمير خالد بن يزيد بن معاوية الذي تولى عن الحكم وتفرغ للعلم وبالذات علم الكيمياء³⁸، وكان يسمى حكيم آل مروان وقد اهتم بترجمة عدد من الكتب في الطب وعلم الصنعة (الكيمياء) إلى العربية، ذكر ابن النديم أن خالد بن يزيد بن معاوية كان يسمى "حكيم آل مروان" ووصفه بأنه كان فاضلا محبا للعلم، خطر بباله الصنعة، فأمر بإحضار جماعة من الفلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مصر وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربية. وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة...³⁹.

ويسترس ابن النديم في الحديث عنه قائلا: "ويقال والله أعلم أنه صح له عمل الصناعة وله في ذلك عدة كتب ورسائل، وله شعر كثير في هذا المعنى رأيت منه نحو خمسمائة ورقة، ورأيت كتبه: "كتاب

الحرارات"، "كتاب الصحيفة الكبير"، "كتاب الصحيفة الصغير"، وكتاب "وصيته إلى ابنه في الصنعة"⁴⁰.

أما ابن خلكان فقد وصف خالد بن يزيد بن معاوية بأنه: "كان من أعلم قريش بفنون العلم، وكان له كلام في صناعة الكيمياء والطب، وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته..."⁴¹. وله رسائل دالة على معرفته وبراعته، وأخذ الصناعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس الراهب الرومي، وله فيها ثلاث رسائل؛ تضمنت إحداها ما جرى له مع مريانس الراهب السابق الذكر، وصورة تعلمه منه، والرموز التي أشار إليها وله فيها أشعار جيدة⁴².

ويلاحظ أن خالدا كان يستخدم الشعر في تأليف الكيمياء وهو بذلك أول من قام بهذا الأمر أو من أوائل من قام بذلك⁴³. وقد كان خالد هذا قد نزل مصر في خلافة مروان بن الحكم، فقد سار معه عندما خرج مروان على رأس حملته إلى مصر للاستيلاء عليها في سنة 65هـ/685م⁴⁴.

تحلية مياه البحر وخالد بن يزيد:

مما يدل على تقدم صناعة الكيمياء في ذلك الوقت أن تحلية مياه البحر كانت معروفة ويقوم بها العالم خالد بن يزيد، ذكر ذلك ابن عساكر فأورد عن خالد قوله: "إن شئت أعذبت ماء البحر، فأمر بقلال من ماء ثم وصف كيف يصنع به حتى يعذب"⁴⁵، وهذا يدل على مدى التقدم العلمي الذي وصل إليه المسلمون في هذه الفترة.

ومع علم خالد إلا أنه كان لا يعتبر نفسه عالما ولا جاهلا بل إنه جامع لكتب العلم مما يدل على تواضعه فقال: "عنييت بجمع الكتب فيما أنا من العلماء ولا من الجهال"⁴⁶.

3- علم التاريخ: كان اهتمام الخلفاء الأمويين بالتاريخ امتدادا لشعور العرب بأهمية العناية بهذه المادة التي تضم معارف كثيرة كانت موضع تقرير كبير في المجتمع العربي القديم.

عكف الخلفاء المسلمون على معرفة سيرة الملوك قبلهم، حيث شجع الخليفة عبد الملك بن مروان على نشر الوعي التاريخي وحث الناس على الاهتمام بالسيرة والمغازي، واستعانوا بعدد من العلماء لهذا الغرض مثل: عاصم بن عمر بن قتادة (ت120هـ/738م) أما محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت124هـ/742م) فكان من أشهر العلماء الذين بتوا المعرفة التاريخية في العصر الأموي⁴⁷.

وشجّع الخلفاء الأمويين دراسات الأنساب وكانت الحاجات الإدارية كتنظيم وإسكان القبائل في الأمصار قد دفعت إلى وضع سجلات الأنساب ومن أشهر النسابين دغفل بن حنظلة البكري (ت65هـ/685م)، بن كريم الكلابي توفي قبل (64هـ/683م)، يزيد بن مفرغ (ت69هـ/688م)⁴⁸.

كما ظهرت في العصر الأموي مدرسة للتاريخ في البصرة والكوفة، تميزت بتناول الموضوعات الخاصة بالمعارك والفتوح ودراسة الأنساب، وكذلك وجدت فيها كتب للسيرة والمغازي ومن أشهر الكتاب والإخباريين من أصحاب هذه المدرسة نجد: معمر بن اليمني البصري، أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الذي عنى بالكتابة العامة في الإسلام كالردة والفتوح والخوارج.

أما بالنسبة للتاريخ العربي الذي يتناول أخبار العرب في الجاهلية الأولى، فقد تم تدوينه في عصر الدولة الأموية عندما ثبتت دعائم الدولة العربية وبدأ العرب يهتمون بأخبارهم القديمة، ومن بين المؤرخين الذين اشتغلوا برواية أخبار العرب قبل الإسلام: عبيد بن شربة الجرهمي (ت67هـ/686م)⁴⁹.

4- علم الكلام: ظهرت في العصر الأموي بعض الحركات الفلسفية الدينية، كالجبورية والقدرية والمعتزلة، فالجبورية يقولون إن إرادة الله مطلقة، وقدرته تضع حدا لإرادة الإنسان، والإنسان على هذا

النحو مجبر لا اختيار له ولا قدرة، وأن الله يخلق في الإنسان الأعمال والأفعال، ولا قدرة للإنسان على تبديلها، وأول من قال بالجبرية جهم بن صفوان (ت128هـ/746م) فسمي أتباعه بالجهمية، وقد نفى الجبرية صفات الله، لأن صفات الله بشرية والبشر خلق، أما القدرية فقد جاءت حركتهم كرد فعل على الجبرية، ومذهب القدرية هو أن الإنسان يملك القدرة والإرادة عن تصرفاته، ودعمت القدرية آراءها بآيات من القرآن الكريم، وكانت القدرية تعارض بني أمية لأنها تعتبر أن للفرد حرية الاختيار.

أما المعتزلة فهي أعظم مدارس الفكر والكلام في الإسلام، وظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة، ويرجع أصل هذه التسمية إلى واصل بن عطاء (ت131هـ/749م) الذي اعتزل حلقة أستاذه الحسن البصري (ت110هـ/728م)، لاختلافه معه في الرأي وتتلخص آراء المعتزلة في القول بعدم تكفير مرتكب الكبائر وعدّه في منزلة بين المنزلتين، أي بين المؤمن والكافر، وقالوا بالقدرة أي أن الله لا يخلق أفعال الناس، وإنما هم يخلقون أفعالهم، وأنهم من أجل ذلك يثابون أو يعاقبون على عكس ما قال به خصومهم من الفقهاء، الذين تغالوا في سلب الإنسان قدرته وحرية تصرفه، وقال المعتزلة بسلطان العقل وقدرته على معرفة القبيح من الحسن، ودعاهم إلى القول بهذا المبدأ ما رأوه من جمود بعض الفقهاء ووقوفهم عند النصوص، كذلك قال المعتزلة بالتوحيد، فنفا أن تكون لله تعالى صفات أزلية من علم وقدرة وحياة وسمع وبصر غير ذاته، بل إن الله عالم وقادر، وحي وسميع وبصير بذاته، وربما دعاهم إلى هذا القول ما شاع في عصرهم من ذهاب قوم إلى تجسيم الله تعالى وإثبات صفات له كصفات المخلوقات، وقد استند المعتزلة في آرائهم إلى قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الصفافات: 180).

وقد قام خلفاء بني أمية باضطهاد المعتزلة، باستثناء بعضهم الذي ذهب مذهبهم مثل: يزيد الناقص بن الوليد، ومروان بن الحكم الذي لقب بالجعدي لأخذه القول بالقدر عن الجعد بن درهم المعتزلي⁵⁰. كذلك كان يزيد الثالث من المعتزلة، كما كان منهم أيضا إبراهيم أبو يزيد الثالث، وفي دمشق ذهب ثلاثة من علمائها، وهم: معبد الجهنبي (ت80هـ/699م)، وغيلان الدمشقي (ت106هـ/724م)، وأبو يونس الأسواري إلى أبعد من واصل في التأكيد على حرية إرادة الإنسان المطلقة، بينما كان جهم بن صفوان يقول بالقدر⁵¹.

موقف الأمويين من القدرية:

حاول بعض المحدثين تصوير كره الأمويين للقدرية، وخصوصا غيلان بأن هذه الدعوى تنفي حقهم الإلهي في الحكم، باعتبار أن الخليفة كان يعتبر نفسه خليفة لله في أرضه، ومناداة غيلان تنفي عنهم هذا الحق، وهذا قول باطل لا أساس له من الصحة فإن الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/714-742م) الذي قتل غيلان هو نفسه الذي قتل الجعد بن درهم الذي ينادي بالجبر وأنه لا اختيار للإنسان في أفعاله، فلو كان ما يدعونه صحيحا لقرب الجعد واعتنق آراءه، بالإضافة إلى أن بعض خلفاء بني أمية قد اعتنقوا القدر وبعضهم اعتنق الجبر عندما آمنوا بأفكارهما، فالخليفة يزيد بن الوليد (126-126هـ/744-744م) اعتنق القدر وقرب أصحابه، واعتنق مروان بن محمد (126-132هـ/744-749م) الجبر واتبع الجعد بن درهم حتى لقب بمروان الجعدي⁵².

المطلب الثاني: المنشآت العمرانية العلمية والثقافية في الدولة الأموية

الفرع الأول: بناء المدن

1- مدينة دمشق: فتحت الجيوش الإسلامية دمشق في (14هـ/636م)، ففتحها خالد بن الوليد (30 ق.هـ- 21هـ/592-642م) عنوة من الجهة الشرقية، وكانت دمشق حاضرة الدولة الأموية وغدت أكبر

المدن الإسلامية في ذلك العصر، وامتازت عن غيرها من المدن بكثرة الأنهار والينابيع، وقد كانت حصينة أقيمت حولها أسوار منيعة، بلغ ارتفاعها ثمانية أمتار، فبات لكل دار فيها نافورة خاصة بها.

وتم تزيين ضواحيها بالمباني العامة، ومن آثار الأمويين في دمشق مجاري مياهها، فقد أبدوا مهارة فائقة في تنظيم مجاري المياه⁵³، أما في طراز البناء فلم يكن بعدد أوجدوه ولكنهم سرعان ما أنشأوا نسقا فائقا بجماله بين طراز فارسي وبيزنطي فإننا نرى في الأقواس والأعمدة والقباب تشابها قويا بينهم⁵⁴.

2- مدينة القيروان: تعد أول مدينة عربية إسلامية شيدت بعد أن تسلم الأمويين شؤون الخلافة والحكم، فقد كان لعقبة بن نافع الذي كان واليا على إفريقية مرتين (47-55هـ/667-674م) و (62-63هـ/682-683م) هدف ورغبة تمثلت في فتح جميع أقطار بلاد المغرب، وترسيخ العقيدة الإسلامية فيها، وتم بناءها في سنة 50هـ/674م جنوب تونس، من أجل أن تكون مقرا لإدارة هذه الجيوش في شمال إفريقية، فشرع في تخطيط دار الإمارة والمسجد الذي اعتبر فيما بعد أول المساجد في هذا القطر المفتوح وأن قبلته سوف تكون النموذج الذي ستحتذى به سائر الجوامع في بلاد إفريقية⁵⁵.

ثم أخذ الناس في بناء المساكن والديار واختط فيها دار للإمارة، وبنى لها سور من الطين، وزين الجامع وجعل له أعمدة بهيجة من المرمر، اثنان منها قرب المحراب ارتفاعها شاق ولونها أحمر مع نقطة بيضاء كأنه رخام، وطول هذا السور تسعة آلاف وخمسمائة متر، واكتمل بناؤه في (55هـ/675 م)⁵⁶.

3- مدينة واسط: بناها عبد الملك بن مروان في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي (40-95هـ/660-714م) وهي المدينة الثانية التي شيدت في العصر الأموي، أما تاريخ بنائها فكان في 83هـ/703م وجعلها الحجاج بن يوسف الثقفي مقرا لجنده ومهدا للحركات الثورية، وبلغت تكاليف بنائها الكثير بمقدار مجموع قيمة خراج العراق لمدة خمس سنين⁵⁷، وأنزل أصحاب الطعام والعطارين عن يمين السوق ووضع البقالين وأصحاب الفاكهة في قبلة السوق، وأنزل العمال والصناع في يسار السوق إلى دجلة، أما قصره ذو القبة الخضراء فقد جعل له أربعة أبواب⁵⁸.

4- مدينة الرملة: بنى سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/715-717م) مدينة الرملة في (96هـ / 707م) عندما كان واليا على فلسطين، وتختلف هذه المدينة من حيث أسباب إنشائها، وهي أنها لم تبني لأسباب عسكرية بالقدر الذي شيدت فيه لأسباب شخصية محضة.

كما أنه لا يمكن لها أن تحتل مكانة دينية كمكانة بيت المقدس على الرغم من أن سليمان أمر بنقل الحياة المدينة إليها، ولعل بناءها كان بغية تحقيق الشهرة وتخليد الذكرى بإنجاز حضاري معين ومظهر من مظاهر الرخاء الاقتصادي الذي بلغته الدولة الإسلامية في هذا العصر⁵⁹.

الفرع الثاني: بناء القصور

1- قصر عمرة: يعد أقدم قصور البادية الأموية حيث بنوه في (94هـ / 712م) في عهد الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م)، وله مكانة خاصة في تاريخ الفن الإسلامي من حيث أنه يقدم زخرفة صورية. وهكذا جذب قصر عمره اهتمام الدارسين منذ أن تم اكتشافه في 1898م من طرف العالم الألماني موزل⁶⁰.

يقع على بعد حوالي 100 كم شرق عمان في منطقة لا تصلها إلا كميات قليلة من المياه، وله قاعة كبرى مقسمة إلى ثلاثة أقسام عن طريق قوسين كبيرين يمران بطول القاعة بدون ركائز، ويتألف من قسمين رئيسيين قاعة الاستقبال والحمام، الأولى مستطيلة الشكل، وتتكون من ثلاث أروقة مسقوفة بقبوات

نصف أسطوانية على نفس ما تتميز به العمارة الساسانية، أما الحمام يشمل ثلاث غرف صغيرة، الأولى ذات سقف من قبو؛ نصف دائري والثانية سقفها من قبتين متقابلتين، والثالثة تعلوها قبة نصف كروية من طراز هلنستي، كما وجدت مجموعة من الزخارف ذات الأشكال الهندسية من مربعة وذات أضلاع كثيرة وأقواس مدببة، وهكذا انفرد هذا القصر بمجموعة الزخارف التي لا مثيل لها في عالم الفن الإسلامي⁶¹.

2- قصر جبل السين: يقع في الجنوب الشرقي من مدينة دمشق على بعد 105 كم، ويتم الوصول إليه من الطريق المؤدية إلى أبي الشامات على طريق بغداد، واكتشف سنة (1367هـ/1964م)، وإذا ما قرن بمخطط قصر عمره نجد أنّ مساحته وأبعاده تقترب من أن تكون إلى حد كبير تشبهه، الأمر الذي يوحي بأنه بُني في فترة متقاربة من بناء القصر الأول، وإن كان البعض يعتبره أقدم منه انطلاقاً من موقعه المعزول⁶². وكان الخليفة الوليد يقيم به للصيد والاستحمام، ويرجح أنّه كان يضم قاعة ذات أقبية ثلاثة بغير ركائز، وقاعة رئيسية ذات حنية، وحجرات صغرى بحمام، وقد بني بالحجارة، وكسبت أرضه بالرخام والفسيفساء، وزينت جدرانه العليا بتصاوير بدوية، وكان الماء رفع إلى سطحه من بئر يجري إلى غرفته⁶³.

3- قصر خربة المفجر: بني في عهد هشام بن عبد الملك في الموقع المعروف حالياً بخربة المفجر، على بعد ثلاثة أميال من أريحا بالقرب من البحر الميت، وكان قصراً شتوياً تزدان جدرانه برسوم آدمية وحيوانية، وقد سجل اسم هشام على أحد جدران القصر⁶⁴، والذي اكتشف سنة (1353هـ/1934 م) قرب أريحا في فلسطين وتخطيطه أشبه بتخطيط القصور الصحراوية، لكنه يختلف عنها من حيث احتوائه على عدد من البيانات، فهو يحتوي على فناء أوسط مكشوف وإلى جانب الفناء، يشتمل القصر على مسجد وقاعة عظيمة للحمام، وحمام قائم بذاته مغطى وله بوابة مرتفعة مزخرفة بنحت في شكل صور أرضية وأدمية وأهم ميزة في هذا القصر هو أنّه أحيط بسور كسياج وبنائه مزيج من الحجارة والطوب⁶⁵.

4- قصر المشتى والتوبة: اكتشف سنة (1254هـ/1840م) وهو من المباني المدنية ويعود بناؤه إلى عهد الوليد الثاني، وهو مبني من الحجارة الكلسية القاسية ومن الطوب، ويعد نموذج أولي يقوم على رقعة مربعة من الأرض يحيط به سور وتكشف الجهة الجنوبية عن الواجهة الفخمة، وفي أوسطها باب خارجي، أما داخل القصر فينقسم إلى ثلاث بلاطات؛ ففي الوسط يؤدي المدخل إلى فناء مكشوف في وسطه حوض ماء، والذي ينتهي إلى قاعة ذات ثلاثة محاريب مقببة⁶⁶.

أقامه الوليد الثاني على أنقاض قصر غساني في شرق الأردن، ويحيط بالقصر سور خارجي مربع الشكل تدعمه أبراج نصف دائرية في بدنته، وأبراج أسطوانية في الزوايا الأربع، ويبلغ طول كل جانب منه 144م، ويتألف القصر من مجلس أمامي مزود بغرف جانبية، وفناء مركزي كبير يتوسطه حوض ماء، أما القاعة الرئيسية فأشبه ما يكون نظامها بالنظام البازيليكي القائم على ثلاثة أروقة، تمتد عمودية على الجدار الرئيس، وكان القصر مزوداً ببوابة واحدة يكتنفها على كل من الجانبين برج نصف دائري مطول، ويزين الجدران الجانبية واجهة من النقوش الدقيقة حفرت زخارفها في الكسوة الحجرية حفراً غائراً، وقد نقلت هذه الواجهة إلى متحف الدولة ببرلين⁶⁷.

ويعد نموذجاً للقصر الصحراوي المأخوذ عن معسكر البدو والقلاع الرومانية، وكان له سور خارجي مربع الشكل حصن بأبراج مستديرة، ويتألف من: بيت أمامي ذي ردهة وحجرات جانبية، وصحن كبير يتوسطه حوض مائي، وهو وسط على الطراز البازيليكي به ثلاثة أروقة، وقاعة ملحقة به مؤلفة من ثلاث حنايا، وحجرات على الجانبين، ولم تكن له سوى بوابة واحدة على جانبيها واجهة بها

زخارف ونقوش (توجد معظمها الآن بمتحف برلين)، والمرجح أن تصميمه مأخوذ من نماذج فارسية ساسانية، وقاعة العرش المثلثة فيه يبدو فيها التأثر بالفن البيزنطي، وإلى يمين مدخله قاعة بحائطها الجنوبي تجويف يدل على أنها كانت مسجداً، وقد عثر في فناء القصر على بقايا قطع منحوتة، وتقسيمه بوجه عام يشبه تقسيم البناء في قصور الغساسنة واللخمين بالشام والعراق⁶⁸.

أما قصر التوبة فيقع في وادي عذق على بعد ستين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من عمان اكتشف سنة 1317هـ/1898م وتاريخ بنائه لا يعرف عنه شيئاً، حيث رأى البعض من الباحثين أنه قصر أموي بالاعتماد على حقيقة شبه متفق عليها⁶⁹، وهو مستطيل الشكل يشبه قصر المشتى في معظم عناصره المعمارية لكنه يختلف عن بقية القصور السابقة، ويحتوي على جناحين متشابهين، ولكن لم يقدر له الاكتمال⁷⁰.

الفرع الثالث: بناء المساجد

1- قبة الصخرة : تعد قبة الصخرة أروع العماائر الأموية في بلاد الشام، وتنفرد بين المساجد الإسلامية بتصميمها الغريب، وتشبه في نظامها بعض الأبنية المسيحية، وهي عبارة عن حجر مثنى الشكل، تتوسطه الصخرة، وأنشأها الخليفة عبد الملك بن مروان في (72هـ/691م)، فسميت بقبة الصخرة نسبة إلى الصخرة المقدسة، وقد أقامه من أجل الاعتزاز بالإسلام، حيث جاء بناؤه في وقت كان الإسلام محتاجاً فيه إلى أبنية ضخمة رائعة ليجاري الكنائس الرومانية العظيمة.

وصخرة بيت المقدس قد توفر حظها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة، وهي قائمة على طرفي وسط المسجد يُصعد إليها في درج من رخام، ولها أبواب محكمة الصنعة، وكذلك داخلها وخارجها يلمع لمعان البرق وتحتها مغارة ينزل إليها على درج⁷¹.

ونقلا عن كرزويل الذي ألف كتاباً عن الهندسة المعمارية الإسلامية عن قبة الصخرة: "ربما كانت أقدم عمل في الهندسة المعمارية الإسلامية ومنشؤها هو عبد الملك بن مروان، وهي بناء مستدير مكون من قبة خشبية طول قطرها 20.44 متراً، تقع على أسطوانة عالية، ولها ستة عشر شباكاً، وأربعة أروقة واثنان عشر عموداً يكونون دائرة تحيط بالصخرة، وتتبادل كل ثلاثة أعمدة مع رواق، وهناك أسطوانة مركزية طولها مساو لقطرها، وهي دائرة للدعم موضوعة في وسط شكل مثنى، طول ضلعه حوالي 20.60 متراً ومكون من ثماني حيطان علو كل منها 9.5 متراً⁷².

2- مسجد دمشق الكبير: قام الوليد بن عبد الملك بإعادة الإسلام إلى مجده من خلال قيامه بالفتوح الإسلامية من أجل نشر الإسلام وإذاعته، كما أولى اهتماماً بتشديد العمارة والبناء والإنشاء، وفي دمشق رأى أنه يجب أن يزين هذه المدينة بإنشاء مسجد جامع لا يشبهه مسجد في العالم، وذلك لتوفر الموارد المالية من أجل إنشائه وتنظيمه، وهذا إن دل فإنه يدل على تقديره للفن والعمارة. ويدل مخطط هذا المسجد ومكانه في المدينة وشكله على فكر عميق ونظر بعيد، ولو أن طابعه العمراني كان مأخوذاً من الفن المعماري البيزنطي، وقد أنفق الوليد على المسجد خمسين صندوقاً من الذهب، وقيل: إنه أنفق خراج سبع سنين، وعدد العمال الذين شيده ينوف عن العشرة آلاف عامل⁷³.

أصبحت مدينة دمشق عاصمة الخلفاء الأمويين وزاد عدد سكانها من المسلمين وأراد الوليد بن عبد الملك أن يلفت الأنظار عندما يجعل منها عاصمة إسلامية تليق بمجد الإمبراطورية العربية.

يعد الجامع الأموي بدمشق من روائع العمارة الإسلامية في العصر الأموي وبُني وقت فتح دمشق حيث كان مرصعاً بالجواهر الثمينة عليه من ذهب وفضة ومحلى بالسلاسل الذهبية، يتألف من حصن

مستطيل مكشوف وبيت للصلاة مسقوف طوله 136 متر وعرضه 37 متر، وأعظم ما في هذا المسجد هو القبة المصنوعة من الرصاص المتصلة بمحراب عظيم الاستدارة والارتفاع.

أما عن زخرفته فبلغت الغاية في التألق، وأنزلت جدرانه كلها بفصوص من الذهب المعروفة بالفيسفاء، وخلطت بين أنواع الأصبغة الغربية.

وله أربعة أبواب هي باب البريد في الجهة الغربية وباب الفراديس في الجهة الشمالية وباب جيرون في الشرق وباب الساعات من الجهة الجنوبية، أما المئذنة الشمالية التي كانت تستعمل فأصبحت نموذجاً لسواها من المآذن في الشام وشمال إفريقيا وحتى إسبانيا.

وقد استغرق بناؤه تسع سنوات حيث بدأ العمل فيه 88 هـ/706م وانتهى في عام 96 هـ/714م، ولهذا المسجد حلقات التدريس في فنون العلم⁷⁴.

3- الحرم النبوي: وقد قام الوليد بتوسيع وبناء الحرم النبوي في المدينة، وتكاملت عناصره عندما أعيد بناؤه حوالي سنة 87 هـ/706م فاتخذ له المحراب في منتصف جدار القبلة، والميضأة في وسط الصحن، كما أقسمت له المآذن على نسق مآذن المسجد الأقصى⁷⁵، كما عهد إلى عمر بن عبد العزيز عامله عليها فجدد البناء في هذا المسجد تجديداً زاده رونقا وجمالاً⁷⁶.

الخاتمة:

من خلال ما سبق نخلص إلى أن:

- كان لخلفاء بني أمية الفضل الكبير في تطوير وازدهار الحياة الفكرية وفن العمارة في الدولة آنذاك وعلى الرغم من الاضطرابات والفتن التي شهدتها الدولة الأموية (الخوارج وثوراتهم)، وكذا انشغالهم بالفتوحات الإسلامية؛ إلا أن ذلك لم يمنعهم من الاهتمام بالجانب الحضاري.

- كما اهتم الأمويون بالعلوم الدينية خاصة علم القراءات وأبرزوا وجوه الاختلافات بينها، وكان للتفسير حظ وافر في ذلك حيث شهد نهضة كبيرة من خلال بروز أكبر المفسرين آنذاك والمتمثل في حبر الأمة عبد الله بن عباس، حيث تخرج عليه عدة تلاميذ فسروا القرآن الكريم ولعبوا دوراً محورياً في علم التفسير، أما الحديث الشريف فقد حمل راية جمعه في هذا العهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، الذي اهتم بالجمع والتقصي، لهذا برز محدثون كبار أمثال: ابن شهاب الزهري.

- العلوم العقلية هي الأخرى عرفت تنوعاً بين الطب، وبرز فيها علماء أمثال: أبو الحكم بن أثال، وماسرجوية، وابن أبجر الإسكندري، وفي الكيمياء برز خالد بن يزيد بن معاوية، بالإضافة إلى علم التاريخ.

أما فيما يخص المنشآت العمرانية العلمية والثقافية فقد تنوعت بين بناء المدن مثل مدينة دمشق والقيروان، وواسط والرملة، أما القصور فقد شيد الأمويون قصر عمرة، وقصر جبل السنين، وقصر خربة المفجر، والمشقى والتوبة، أما المساجد فقد كان لهم اهتمام كبير بها باعتبارها مكاناً لعبادة المسلمين كمسجد قبة الصخرة، ومسجد دمشق الكبير، والحرم النبوي حيث جددوا فيها ووسعوها وزينوها.

- ساعد فن الهندسة المعمارية في ظهور علم آخر وهو علم الخط، وذلك لزخرفة المساجد وتزيينها بآيات القرآن الكريم.

- كان القرآن محور وأصل نشأة العلوم من خلال الاهتمام بتعليمه، فامتألت المساجد بحلقات الدرس من تفسير ومواعظ.

- لقد كان للحركة العلمية في العصر الأموي دورا كبيرا وبارزا في التمهيد للنهضة العلمية التي سادت في العصر العباسي، إذ أنهم أرسوا أسس التراث العلمي الذي بنى عليه العباسيون حركتهم العلمية، وخاصة حركة التعريب التي قام بها عبد الملك بن مروان الذي جعل اللغة العربية لغة رسمية للدولة تستخدم في كل أقاليمها من المشرق إلى المغرب، كما أتاح اتساع الدولة ودخول شعوب جديدة في الإسلام التعرف على حضارتها والاستفادة من معارفها في تطوير الحضارة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- 1- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 1995م.
- 2- أبو السعود سلامة أبو السعود، رمضان خميس القسطاوى، الأدب العربي في مختلف العصور، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2007م.
- 3- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، المجلد 2.
- 4- أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت438هـ/1046م)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، ط2، بيروت، لبنان، 1997م.
- 5- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت571هـ/1175م)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م.
- 6- أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جليل (ت384هـ/994م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة.
- 7- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ/889م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1992م.
- 8- أحمد محمد المومني، نظريات شافية في نتاج الحضارة الإسلامية العربية، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان، 2010م.
- 9- أرنست كونل، الفن الإسلامي من العصر الأموي إلى العصر العثماني، ترجمة: أحمد موسى، تقديم ومراجعة: حسن عبد العزيز، وكالة الصحافة العربية.
- 10- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية عصر بني أمية، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط2، 1973م.
- 11- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، ط2، د.ت.
- 12- خليل داود الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1971م.
- 13- سعاد تازير، غنية زهوية، الحياة الثقافية في الدولة الأموية (41-132هـ/661-749م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة 8 ماي 1945 قالم، 2011 – 2012م.
- 14- سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، نقله إلى العربية: عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، بيروت، 1967م.

- 15- عبد الله بن حسن الشنبري الشريف، الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (101-105هـ)، دار القاهرة، 2005م.
- 16- عبد الواحد دنون طه، دراسات في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2005م.
- 17- كريم ما هود مناتي، تاريخ الدولة العربية الإسلامية (العصر الأموي 41 - 132 هـ)، مكتبة الصفوة، بغداد، 2009 - 2010م.
- 18- كمال السيد أبو مصطفى، أسامة أحمد حماد، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2006م.
- 19- محمد عبد الله عودة، عبد الكريم فريجات، مختصر التاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، 1989م.
- 20- محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في صدر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1980م.
- 21- يوسف العث، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سورية، ط2، 1985م.

الهوامش:

- 1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد 9، ص 19.
- 2- نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط9، 1422هـ - 2001م، ص9.
- 3- عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1399هـ - 1979م، ص3.
- 4- أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت438هـ/1046م)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، ط2، بيروت، لبنان، 1997، ص56.
- 5- كريم ما هود مناتي، تاريخ الدولة العربية الإسلامية (العصر الأموي 41 - 132هـ)، مكتبة الصفوة، بغداد، 2009 - 2010م، ص88.
- 6- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بنغازي - ليبيا، ط2، دبت، ص206.
- 7- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 1995، ص142-143.
- 8- خليل داود الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1971، ص46.
- 9- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص207.
- 10- عبد الله بن حسن الشنبري الشريف، الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (101-105هـ)، دار القاهرة، 2005م، ص189.
- 11- عبد الله بن حسن الشنبري الشريف، الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (101-105هـ)، المرجع نفسه، ص187.
- 12- سعاد تازير، غنية زهوة، الحياة الثقافية في الدولة الأموية (41-132هـ/661-749م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة 8 ماي 1945 قالم، 2011 - 2012م، ص23.
- 13- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص143.

- 14- محمد عبد الله عودة، عبد الكريم فريحات، مختصر التاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، 1989، ص 70.
- 15- يوسف العث، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سورية، ط2، 1985، ص 263.
- 16- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 268.
- 17- أحمد محمد المومني، نظريات شافية في نتائج الحضارة الإسلامية العربية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص 109.
- 18- أحمد محمد المومني، نظريات شافية في نتائج الحضارة الإسلامية العربية، المرجع نفسه، ص 127.
- 19- محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في صدر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1980، ص 79.
- 20- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 273.
- 21- محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في صدر الإسلام، المرجع السابق، ص 86.
- 22- سعاد تازير، غنية زهيو، الحياة الثقافية في الدولة الأموية (41-132هـ/661-749م)، المرجع السابق، ص 31.
- 23- محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في صدر الإسلام، المرجع السابق، ص 236.
- 24- سعاد تازير، غنية زهيو، الحياة الثقافية في الدولة الأموية (41-132هـ/661-749م)، المرجع السابق، ص 33.
- 25- محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية عصر بني أمية، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط2، 1973، ص 235-236.
- 26- محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في صدر الإسلام، المرجع السابق، ص 238.
- 27- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ/889م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1992، ص 42.
- 28- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 271.
- 29- أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت438هـ/1046م)، الفهرست، المصدر السابق، ص 65.
- 30- أبو السعود سلامة أبو السعود، رمضان خميس القسطاوي، الأدب العربي في مختلف العصور، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2007، ص 140.
- 31- محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في صدر الإسلام، المرجع السابق، ص 266.
- 32- محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية عصر بني أمية، المرجع السابق، ص 271-272.
- 33- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص 148.
- 34- محمد عبد الله عودة، حكمت فريحات، مختصر التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ص 74.
- 35- أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل (ت384هـ/994م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ص 59، 60.
- 36- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص 209.
- 37- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع نفسه، ص 221.
- 38- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 299-300.
- 39- ابن النديم، الفهرست، المصدر السابق، ص 300.
- 40- ابن النديم، الفهرست، المصدر نفسه، ص 434.

- 41- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، المجلد 2، ص 224.
- 42- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المصدر نفسه، ص 224.
- 43- خليل داود الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، المرجع السابق، ص 182.
- 44- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص 148.
- 45- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571هـ/1175م)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995، ج 16، ص 313.
- 46- خليل داود الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، المرجع السابق، ص 183.
- 47- عبد الواحد ذنون طه، دراسات في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2005، ص 157.
- 48- عبد الواحد ذنون طه، دراسات في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، المرجع نفسه، ص 158.
- 49- سعاد تازير، غنية زهيو، الحياة الثقافية في الدولة الأموية (41-132هـ/661-749م)، المرجع السابق، ص 40-41.
- 50- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص 148.
- 51- سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، نقله إلى العربية: عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، 1967، ص 194.
- 52- خليل داود الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، المرجع السابق، ص 151.
- 53- محمد عبد المنعم الخفاجي، الحياة الأدبية في صدر الإسلام، المرجع السابق، ص 185.
- 54- محمد عبد المنعم الخفاجي، الحياة الأدبية في صدر الإسلام، المرجع نفسه، ص 188.
- 55- كمال السيد أبو مصطفى، أسامة أحمد حماد، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2006، ص 21.
- 56- سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، المرجع السابق، ص 86.
- 57- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص 230.
- 58- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع نفسه، ص 232.
- 59- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع نفسه، ص 233-234.
- 60- سعاد تازير، غنية زهيو، الحياة الثقافية في الدولة الأموية (41-132هـ/661-749م)، المرجع السابق، ص 54.
- 61- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص 252.
- 62- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع نفسه، ص 252.
- 63- أرنست كونل، الفن الإسلامي من العصر الأموي إلى العصر العثماني، ترجمة: أحمد موسى، تقديم ومراجعة: حسن عبد العزيز، وكالة الصحافة العربية، ص 26.
- 64- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص 150.
- 65- إبراهيم زعرور، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع نفسه، ص 261.
- 66- سعاد تازير، غنية زهيو، الحياة الثقافية في الدولة الأموية (41-132هـ/661-749م)، المرجع السابق، ص 57.
- 67- إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص 150.

- ⁶⁸ - أرنست كونل، الفن الإسلامي من العصر الأموي إلى العصر العثماني، المرجع السابق، ص26.
- ⁶⁹ - إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص 263.
- ⁷⁰ - إبراهيم زعرور، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، المرجع نفسه، ص264.
- ⁷¹ - سعاد تازير، غنية زهيو، الحياة الثقافية في الدولة الأموية (41-132هـ/661-749م)، المرجع السابق، ص 59-60.
- ⁷² - خليل داود الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول ولثاني للهجرة، المرجع السابق، ص188-189.
- ⁷³ - يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، المرجع السابق، ص243-244.
- ⁷⁴ - سعاد تازير، غنية زهيو، الحياة الثقافية في الدولة الأموية (41-132هـ/661-749م)، المرجع نفسه، ص61-62.
- ⁷⁵ - بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص319.
- ⁷⁶ - يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، المرجع السابق، ص245.